الموضوع: واقع اللّغة العربيّة في الإعلام، المحاسبة والمسؤوليّة

مدخل:

"اللغة مرآة أحوال الامّة" هكذا تمرّى حبر العلامة إبراهيم اليازجي بورق لغته وهكذا بيّن أنّ اللغة تُفصح و تَفصح. تُفصح عن ناسها ومكنوناتهم وأرضهم، وتفضح وجوههم. فإمّا أن تكشف عن هُويّات متأصّلة في هُوياتها وإما أن ترفع القناع عن وجوه تخدع ملامحَها ومَن حولها. إنها اللغة العربية الفاتنة المجدولة الحروف، الممشوقة المدّ، المضمومة الى القلوب كالشوق الدائم، تحسّ به وأنت معها، تكتبها تناجيها تحاكيها تتعرف إلى ذاتك بسببها. وإذا كان الرّحابنة الذين بهم نفخر في لبنان والمنطقة العربية قد قالوا" إن الهوى تعبُ... يا حبيبي انك السببُ " فإننا نقتبس لنقول: إنّ اللغة تَعَبُ وهي السبب.

نعم. متعبةٌ أنت أيتها اللغة العربية على أبنائك وشعبك وأمّتك لا لأنكِ ثقيلة الحمل بل لانك كثيرة متراكمة، كثيفة التاريخ. تأتين من أصداء الجاهلية وصحاراها ومن غزل الأمويين وكؤوس العباسيين وقباب قصورهم وقد حطَطتِ الرحالَ في نهضة مشرّفة نكاد نطلق عليها رصاصة الرّحمة. فكيف تمكّن القدامى من أن يحرسوا لغتهم العربيّة ويحموها حتى في عزّ المصاهرة والتزاوج واختلاط الأمّة العربيّة بالأعاجم؟ كيف تمكنوا من أن يسلّموا أحفادهم - نحن- اللغة العربيّة سالمة معافاة من خطايا البشر في حقها وعدوى الخارج واستهتار الداخل؟ وماذا نرتكب بتاريخها اليوم؟

اللغة هي هي ، بقواميسها وبحار مفرداتها ، لكن هل نحنُ نحنُ باستخدامها وصَوغها واستثمار دلالاتها في كتاباتنا وقراءاتنا ووسائلنا الإعلاميّة؟ " **إن كان ثمّة هرم، فهو في الأمّة و ليس في اللغة"** يتابع اليازجي قبل نصف قرن، فهل هرَمَ هرمُنا أكثر وأخذ يتداعى؟ نأمل ان لا، ويقينُنا أنّ البقيّة الباقية تدفع عن اللغة شرّ المعتدين عليها وتدرأ عنها خطر الخطّ الاحمر في حبرها الأسود ومدادها المعتّق. لهذا، ومع إقرارنا بأنّ حفنة طيّبة تنقّي ثوب اللغة من أدران الخطأ ، وتشدّ الخيط الناصع صوبها ، نأتي لنوضح في كلمتنا ما يقلقنا على اللغة في الإعلام المحليّ اللبناني،فهذا المؤتمر ملتئمٌ لبحث شجون اللغة وتصحيح خطأ التعامل معها ومحاكاتها والإبداع فيها أكثر من التباهي بالأمجاد . ولذا نجزّئ كلمتنا إلى نقطتين بارزتين هما : واقع اللغة العربية في الإعلام. والمحاسبة بهدف لغة بنّاءة ، قبل عرض نقاط محدّدة من باب الاقتراحات في محاولة متواضعة لتصحيح الخلل في البنية الإعلاميّة.

أوّلا: واقع اللغة العربية في الإعلام

أ-في البرامج والنشرات:

في واقعنا الإعلاميّ العربي، وأحدّد أكثر لأكون صادقا مع أمثلة أوردها وبيّنات أظهرها ، في واقعنا الإعلامي اللبنانيّ يبدو التعامل مع اللغة العربية أشبه بمن يتعامل على الهامش مع زوج او بالمواربة مع حبيب. نحتاجها، نعوزها، لا نتلفظ الا بها إلا أننا نخونها نطعنها نجتزئها، ومراتٍ إسمحوا لي نشلّئها (أشلاء).

إن اللغة العربية اليوم هي ضحيتنا ولسنا نحن ضحيتَها. وكي لا يكون الكلام معمّما سلبا وقاسيا فإنّ قلة قليلة من الإعلاميين في المكتوب والمرئيّ والمسموع لا تزال تعتبر هذه اللغة العروس - عروس العرب وشعرائهم وصورهم الأدبية ونخيل بيوتهم الشعرية ونثرهم- قلة تعتبرها ضرورة و تتناولها خبزا يوميّا، ولا تسدّ جوعها الإعلامي الا بها. وللمفارقة فان المدارس في لبنان تصرف الكثير من همّها على اللغة العربية، والحوار لا يكون الا بالفصحى بين المعلم وتلميذه من الاساسيّ الاول حتى الثانوي الثالث في المناهج الجديدة ، فلماذا نتعامل كمنفصمين لغويّا ونلقن أبناءنا اللغة الصحيحة، وحين نفتح لهم التلفاز نعلّمهم لغة العصر أو قل لغة التشاتينغ؟ ونحمّلهم هواتف خلوية يكتبون بها لغة المراسلات بحروف مشوّهة ؟

من هنا نسأل أين هي اللغة في حساباتنا اليومية الإعلامية بل في حسابات تكّات الإعلام؟

أنتم تعرفون أن عجلة الإعلام والإعلان ضمنا تسير أسرع من الوقت لمواكبة التطوّرات، لا بقياس أربع وعشرين ساعة ولا بقياس سرعة ألف وأربع مئة وأربعين دقيقة بل تجاري سرعة ستة وثمانين ألفا وأربع مئة ثانية في اليوم. الوقت يمشي أمامنا ونحن نلهث خلفه، وبين الركض والوقت ضاعت تلك الجميلة. هي بعدُ جميلة، لكن في إطلالاتنا الإعلامية تبدو وكأنها على الرّف نتناولها حين يخنقنا الغبار لنزيل الغبارَ عنها ثمّ نردّها بأمانة غيرِ مقصودة الى مكانها المرفوف.

ولمقاربة الكلام بالوقائع ، وضمن برامجنا الإعلامية، دلّوني أيها السادة إلى برنامج كما كنا قبل عشرين سنة في محطاتنا المحلية اللبنانية يرتبط بالمدرسة والجامعة والثقافة، فيحفّز هذا الجيل على التباري في سوق عكاظي أو مِربدي أو في إملاء يُكتب سليما أو في تنافس أداء وإلقاء بل في نصوص مبتكرة تبقينا على قيد الحياة مع لغتنا. باتت هذه البرامج في خبر كان. لا، باتت **كان الناقصة** بذاتها، بماضيها البعيد، وبما ينقصنا نحن للعودة اليها. إنه النقص الذي لن يكتمل طالما لن تعود برامج "المتفوقون، المميّزون، التقديم الإعلاميّ، سؤال وجواب، فكّر واربح" وليس اتصل واربح، أو إقرأ تجنِ وليس شارك تجنِ فضلا عن برامج اخرى تعيدنا الى زمن **العلامة فؤاد افرام البستاني** يوم كانت محطة "ال ل بيسي" الرّائدة تصرف ساعات من نهارها على تثقيف المشاهد وتقتنع بأن يتكلم البستانيّ لساعة عن التاريخ وأعلامه واللغة

وأربابها وأمامَه طلاب جامعيون ينصتون باهتمام ولا يُحشَى البرنامج بإعلان يتضمّن مجازر لغوية مثل كلمة "وحدُها" هذه السلعة بضمّ الدال بدلا من فتحها، أو بترويج لبرنامج آخر لا ندري لِمَ كاميراته (آلات التصوير فيه) تسلط على الفقش والضحك وكأنّ الرصانة أو الدمعة من عيوب أمّتنا.

شواهد الماضي كثيرة أيها السادة من أيّام **تلفيزيون لبنان** ومسلسلاته بالفصحى. من تلك المسلسلات اختزن جيل منتصف القرن الماضي لغة ترفده بمقوّمات أساسيّة وتعينه في فهم ما يتلقّاه ويكتسبه في المدرسة والجامعة. مسلسلات تحترم الأذن والعين والحسّ الثقافيّ، تشكّلت نصوصها من نحو وصرف متينين لا خطأ ولا خطل فيهما بينما اليوم نقف على مسلسلات خالية من اللغة طافحة بفحش عامّيّة لا دخل للبنان فيها ، وإن اضطّر السيناريو صاحبَه لنصّ قانونيّ أو لصفحة ذكريات بالفصحى ضاعت البوصلة لانه لن يجد كاتبا أو إعلاميا ينقذه من ورطته، والأدهى أنّ أسماء الممثلين والمساهمين في بعض المسلسلات و البرامج باتت تكتب بلغة تقنيّة حديثة لا مكان للعربيّة فيها.

ومن شواهد الماضي القريب تمثّلُنا باللغة الفرنسيّة لنروّج لحلقة باللغة العربيّة. نحن العربَ صانعي الشعر والرومنسية قبل الرومنسيين ومرمّزي اللغة قبل الرمزيين لجأنا قبل سنوات ثمانٍ الى أسلوب **برنار بيفو** اللغوي الفرنسي الإعلامي الضنين بلغة أمته لنقنع اللبنانيين بوجوب الحفاظ على لغتهم، فجمعت **ال ل بي سي** للصدف الجميلة طلاب لبنان المنتخبين في مباراة إملائية انضم اليها الوزراء والنواب المعنيون منهم باللغة، والدخلاء عليها من باب الترف والترفيه. ليلتها، لبنانُ كلّه شخصَ الى الشاشة، ولبنان في بيوته الصغيرة والكبيرة أخذ القلم والورقة، وجلست العائلة تصغي تكتب تصحح،وكلٌّ يتمنى لو يفوز بنص إملائي نظيف صحيّ لا شائبة لغوية فيه على حدّ ما يحصل في الإعلام الإلكتروني المستشري بلا رقابة ، وإن كان بعضه له مكانته فإنّ غالبه بات دكاكين تُفتح وتَفتح معها شهيّة الخطأ في كتابة النّص ، وخطرُها أدهى لأنّ الإعلام الإلكتروني يأخذ رويدًا مساحته، ومن دون انتباه سيتحوّل الوسيلة الإعلاميّة الأكثر رواجا بين أخواتها.

وبالعودة إلى برنامج الإملاء : من قال إننا لو قدمنا العتق المعتّق لا يرتوي المشاهد والمستمع؟ ومن ذا يحمّل خطأه الآخرين ويتلطّى خلفهم على حدّ المقولة الفنية "الجمهور عايز كده"؟ فهل يكون الجمهور عايز كده في اللغة؟ اسخ ُعلى لغتك تسخُ عليك اللغة بيدَ أنّ الواقع اليوم يشهد أن لا التفتاتة الى اللغة الا في محطات دينية معيّنة أو في نشرات الأخبار التي لو قُيد لها أن تتحرر مما تعتبره رِبقة اللغة العربية فإنها ستفك القيد وتقول: أعطني عاميّتي أطلق يديّ.

وللتوضيح،إقتصارُ اللغة العربية على نشرات الأخبار لا جميل فيه لنا عليها. فنشرة الأخبار لم تعد محلية في أي بلد. انها فضائية إقليمية، وفي الأساس نشرة الأخبار موجّهة لكل العرب بلكناتهم ولهجاتهم وسجلّ الأمة العربية يشهد على توحيد لهجات القبائل ولغاتهم إذا صح التعبير في لغة الضاد المعهودة وجمع الأطراف العربية تحت لوائها وفي ثنايا ألفاظها ومعانيها. لكن ما كان ينقصنا هو أن تتحول نشرة الأخبار الى ساحة اعتقال لهذه اللغة الفاتنة، وانزال عقوبة الألم فيها والآخ في أصواتها القصيرة والطويلة، وإعمال الوجع في حروفها وتفكيك كلماتها وخلق الفرقة بين أصلها وجذرها من جهة وتطورها –عفوا- تتوّرها من جهة أخرى لنسمع ممّن يشدّون بلحاف اللغة صوبهم ليغطوا أخطاءهم بما يسمّى: **اللغة البيضاء**.

يدهشونك حين يسمّون اللغة لغة بيضاء . لا بأس في أن تكون بيضاء لو تمّ لها ذلك، غير أنّها ضاعت بين السواد المعتدي عليها والرّماد المتلاعب بفهرس نظامها. وحبذا لو ان هذا الرماد يكون مادّة مقبلة على انبعاث طائر الفينيق منها لكن على ما يبدو أن الأمر بعيد، وان طائر اللغة مقصوف الجانح، وترميم الجرح يحتاج الى عمل وجهد سوف نشير إليه في اقتراحاتنا المرفقة.

ماذا يحدث في الأخبار لدى ذوي اللغة البيضاء؟إنها معركة تُشَن ضد لغة كان بها يشن الشعراء حملاتهم على أعداء الخلفاء وكان بها ينتصر وطن، تتحق قضية يثور شعب وتنتفض أمّة . هذه اللغة السلاح الطيّب الندي شذّبوا منها - واو الجماعة تعود لكلّ معتدٍ على لغتنا- شذبوا منها أطرافها أوّلا ثم أوصالها فهل يجوز تركهم يشذبون ما في قلبها ونحن قلبها النابض، ومؤتمر اللغة في بيروت دليلٌ كافٍ لدحض تُهَم تسهيل استغناء الإعلام عنها؟

إنّ في الاعلام المرئي والمسوع -كي لا نجلد الاعلام السياسي المكتوب وهو شبه الوحيد المحافظ والضنين بهذه اللغة- تصل الاخبار السياسية مفرّغة من اللغة او بالكاد لغويّة، فتسمع المراسل يطبخ، يعدّ لغة على منواله الخاص والمذيع يتسكع في ساحات اللغة والمحرّر يضيق الخناق عليها. والأهم لدى تحاور المذيع والمراسل وتحوّل الكلام الى خربطة واللغة العربية الى "أوكي و"يِعني" و "إيبي..........ه "، و "أو" وهنا عليك أن تختار وجهة الخبر كما تراها مناسِبة: قتيل أو جريح! "عُقِد أو عقَد"! إنّه العجب. فالمفردات تعَدّل على مزاج قدرة المتلفظ بها وشريط الأخطاء المكتوب أسفل الصورة يعلّم طلابنا وتلامذتنا الخطأ إملائيا ولغويا ما يجعل الرسالة الإعلامية في انزياح عن هدفها الأساس" إعلام وتعليم"، وللبيان: إنهيار مبنى في داخله مواطنين (والصحيح مواطنون)، أو اجتماعات اللجان المعنيّة بالأجور لم تفضي (مع ياء) إلى نتيجة.

من هنا متى كان الخطأ عفويا او نادرا ومصَححا من قائله – اذا كان قائله يعرف انه اخطأ- فان المسألة تمرّ ولا يتوقف الناقد امامها لكن متى صار الخطأ تقليدا يوميّا من الحبر اليومي والأداء المستمرّ ومن عدّة الخبر وصفات المذيع فهنا المعضلة وال "واأسفاه".

فبالله عليكم إذا راقبتم معي نشرات أسبوع التاسع من كانون الثاني تاريخ إعداد هذه الكلمة فإنكم تلاحظون انّ الأخطاء كرّت وكرجت، وإليكم اليسير منها:

-وزراء وممثلو الدولة بدلا من **وزراء الدولة وممثلوها منعا لإضافة كلمتين الى كلمة واحدة.**

-لا يجب إقرار مشروع ملف الأجور بدلا من **يجب عدم إقرار ملفّ، لمنع تقدّم (لا) على فعل يجب.**

-تغيّب خمس وزراء عن الجلسة بدلا من **خمسة ، وهنا مسألة العدد تتحوّل في الإعلام بأرقام شبيهة وأكبر إلى جدول ضرب لا يعرف أوّله من آخره.**

-وقد نقل الان جرحى المبنى المدمّر في الأشرفيّة الى هذه المستشفى بدلا من **هذا المستشفى ، والقاعدة لا يعوزها تأويل.**

-لم تَفلح الهيئات الاقتصادية في اقناع وزير العمل **والمقصود طبعا لم تُفلح الهيئات.**

وفي حال بدتِ الأخطاء في النقل المباشر او في حالات الحرب او التغطيات المفاجئة مبرّرة – نقول في حال- فما قولكم بأخطاء مطبوعةٍ سلفا (والنشرات لم تعد تكتب بخط اليد وسط معمعة الحداثةوهذا ما يفترض أن يقلّل من نسبة الخطأ المقروء)، بأخطاء مشكّلةٍ مسبقا، متمرّنٍ عليها قبل ساعة فساعتين، مطّلعٍ عليها من المحرّر فمسؤول الفترة فمدير التحرير؟ هل يجوز بعد كل هذه الجلجلة التي تعبرها اللغة أن تعلق على خشبة الاستهتار واللامسؤوليّة؟

هذه أخطاء الدرجة العاديّة.خذوا الدرجة الاعلى قليلا وعبر المحطات مجتمعة **نيو تي في، ام تي في، البي سي، او تي في :**

-المذيعة تتمشّى وتقول: قوات اليونيفيل في الناؤورة **وانت عليك ان تفهم انها تقصد الناقورة /**
-يجب اجراءَ حوار **وكأنّ الفاعل لا يكون الا انسانا ولا يمكنه ان يأتي بحلّة أخرى** لتقرأ المذيعة يجب إجراءُ حوار.

--هذه التدابير لم تعطِ زيارة بان كي مون حسنِ الضيافة **وليس حسن الضيافة، إذ يبدو أن المفعول به الثاني صعب على من يذيع ، وهل المفعول الأوّل سهل؟بل هل الإسم الموصول**

أسهل: الجيش التي قالت الحكومة إنه ... قاعدة جديدة تفرض أن يتبع الاسم الموصل النعت ما بعده وليس ماقبله والاستغناء عن الصحيح: الجيش الذي قالت الحكومة...

أخطاء في اللغة صرفا ونحوا، في الاملاء، في التراكيب، وأحيانا في المعنى الاساس للجملة السياسية. وعلى الناس التمييز والتحليل، علما ان الاخبار هي لتوصل الخبر واضحا محللا من دون ان يستدعي الامر ارهاق المشاهد- المستمع او انتهاك حرمة أذنه، وعلى سبيل المثال: **الاخوان المسلمون - الجامعة،** وما أرادت قوله قارئة فنجان الصحف باكرا : الاخوان المسلمون الجماعة ، لكنّ المذيعة جديدة حلوة ناعمة، هبطت عليها نعمة القراءة الصباحية للصحف عبر شاشة لبنانية بارزة ذات صباح فيما هبطت علينا نقمة تفكيك لغز سياسي لدرجة انك لو مضيتَ في سماعها لتمنيت إصمات التلفاز وترك عينيك تفهمان ما في العناوين موفّرا على اعصابك الضغط قبل انصرافك الى وظيفتك صبيحةَ الثالث عشر من كانون الثاني.

أو كأن تسمع في تعليق ضمن برنامج اجتماعيّ إذاعيّ : المرأة توفيت بعد حمَل مضني، والمقصود **حمل مضنٍ بتسكين الميم** ، مع عدم التمييز بين المنقوص واللا منقوص في الاسماء ولفظ **مضنٍ بكسرتين** فإذا بك أنت من تضنى.

او كأن تصدَم بمذيع له في الإعلام خمسَ عشرة سنة يستبدل كلمة على قدر ما يريد أهل السياسة ب **على قدَر ما يريدون** في مقدمة النشرة الإخبارية مطلع هذا العام، وكأنه مأخوذ بقدَر العام الجديد.

أو كأن يُجرَحَ شعورُك وأنت تتابع طفلا انضم الى الاعلام يطلّ عبر الشاشة بالمراسلة مع زملائه في الاستوديو من خلال تقنية النقل المباشر عبر الأقمار عفوا **(س ن ج)** ويقولها على الهواء مباشرة للاشارة الى عطل في ذلك الشيء المسمّى (س ن ج) متوقعا ان كل من في بيته يعرف معنى هذه الكلمة، وإمعانا في الأخطاء يعلّق على أحوال الجوّ متابعا بتيك اللغة البيضاء: رجال الامن قطعت الطريق امام السيارات غير المجهزين بسلاسل معدنية بسبب الثلوج ، وهو يريد بذلك خلط العامية بالفصحى ، فاذا ببياض الثلج يعتم علينا ليلتنا، ولا يدرك أن السيارات جمع غير عاقل وأن رجال الأمن هم الجمع العاقل. هذا هو المثال أيها الحضور الكريم عمّن هم مثال بالنسبة للمستمعين والمشاهدين .اما السشاسيون ...فحدث ولا تحدث ونحن لن ندخل في دهاليز لغتهم كونهم موضوعا شائكا بذاته ويوم ننتهي من أزمة لغتنا الإعلاميّة نبدأ بجردة حساب مع السياسيين الواجب خضوعُهم لدورات في اللغة وفن الأداء.

وهنا نصل الى فن الاداء. ويا ويلنا من المعتدين على الاداء والنطق وهم يُفترض ان يكونوا قدوة للجالسين في بيوتهم او العابرين في سياراتهم. حتى اليوم لا دورات يخضع لها

المحررون والمذيعون في المؤسسات الإعلامية ما خلا عددا وجيزا منها وتحديدا في المسموع. أما المرئيّ فإنه إذا تعاقد مع مدرّب فالإعلامي- الإعلامية، لا يحضر- لا تحضر الى حصص التدريب كون كليهما تخطى المسالة وطار في هواء الإذاعة والتلفاز وما الذنب دنبَه انما هذا ما يقترفه المسؤولون عنه اذ يرمونه صعودا قبل استدراك خيبة أدائه ولفظه وكل ذاك انما لانه اتى بوسيط مقتدر، اما اتت بتدريب عالٍ جمالا اناقة ابتسامة وجرحة عيون.

للأداء ومخارج الحروف علاقة مباشرة مع اللغة العربيّة بدءا بهمزات القطع والوصل مرورا بالمدّ وأحرف اللين والوقف والتشكيل وصولا الى الحروف الملفوظة غير المكتوبة ناهيك بالشمسية والقمرية قبل الوصول الى التفخيم والترقيق والإدغام والأمثلة كثيرة. فما بالكم بمن تبلع الحروف لأن الشفتين لا تتيحان لها بفعل التبرّج أو العمليّات الحديثة أن تلفظ الألف ألفا فتتحول ممدوة أفقيا لا عموديا وتصير(الأخبار أخبار مع إيه) أو من يقرأ التاء لوقوعها قبل الطاء طاء أخرى موفرا عليه التمييز بين المرقق اللساني والإطباق فيقول: ططرق بدلا من تتطرق ، والأجمل عندما تصير قرب كرب والزّميلة ال " زميلة" والتلاقي بين اللساني واللثوي ارباك: **ليست بحادث** تصير **ليثت بحادث** أو ليست بحادس. وأنت عليك أن تنتقي واحدا من العرضين . عدا عن عدم معرفة لفظ الحرف من المخرج المناسب كالزاي والسين: فتصبح إزاء إساءة وهنا عليك ان تحلل سبب دخول الإساءة على خط الجملة ، او أزمة فتكون **أسمى.** هذا فضلا عن تحوّل كلمة **ضيق** العيش إلى **ديك** العيش، وأنّك من دون شدّة إلى انك، ولانك تسمع ولا ترى تظنّ أنّ الكملمة على وزن أفعل التفضيل مع الأف مقصورة وأنتم تعرفون عندها إلى أين يقودنا المعنى.

ماذا بقي اذا؟ يبقى ان نذكر أسماء بارزة كي لا نرى الكوب الفارغ في اللغة بدلا من أسماء لمعت ولا نكرها هنا لأنها لمعت أو صارت عبرة ومثالا بل لأنها من البداية اختيرت على أساس كفاءتها وإن ذكرنا منها البعض فلا ننسى البعض الآخر وأبرز هذا البعض الأساتذة: عادل مالك ايلي صليبي والمذيعة سعاد قاروط العشي أما في الجيل الثاني فمي متى مي شدياق ويولا سليمان جورج غانم ميرللا يزبك وليم غانم وسواهم كثر يغنون لغتنا وبرامجنا الإخباريّة.

والسّؤال المطروح : ما الذي حصل؟ وأيّ صاعقة كهربائيّة مسّت جسمنا الإعلاميّ ؟ وهل تكون بفعل العولمة بكلّ ما حوته وستحويه؟

ب- في العولمة

إنّ ما صار معروفا ومشاعا من مصطلح العولمة هو أقل شيوعا ممّا تخبّئه هذه الهجمة الجديدة المتجدّدة على إنساننا ولغتنا وكياننا وهُويتنا. إنه لَغولٌ بالمعنى الصريح ملتبس الجنس والهدف، أكل من لغتنا واحتلّ مقاعدنا وجلس في سهراتنا وفي غرف الاخبار وفي التواصل اليومي فسهّل على الكسالى مهمّة التلاقي وسخّر الحرف العربيّ إلى حروف لا هي عربيّة ولا حتى شبه عربيّة . تُكتب مرّة بالانكليزية او الفرنسية فتسيء للغتين معا. تكتب أحيانا برموز يختزنها الخلويّ أو الاجهزة المتطوّرة من آلات هواتف ومعلومات و ما شابه، ومن دون انتباه صارت لغة التلاقي المصطنعة مكان لغتنا البديهية الفطرية والمكتسبة ، وحجزت مكانها في صباحاتنا ومساءاتنا وعَولَمت ايامنا بمفردات لم تخرج يوما ممن رحم اللغة ولا حتى أجهضت فيها. انها أجنةٌ مكهربة مفذلكة دخلت على حياتنا وانسحبت على الواجهة، اي الاعلام، فبدلا من ان يكون الاعلام المرهم المداوي لحروق شوّهت لغتنا، صار النار المؤججة لتلك الحروق يفجّرها صورة حديثة متحركة في الشاشة فلا حساب للكلمة والنبرة والمعنى والنحو والصرف ، وكلمات مؤذية للأذن في الاذاعات فلا مكان للغة العربية او حتى للّهجة المستقاة المتحدرة منها، وفي غفلة منك صرت تخال نفسك مستمعا لاذاعة فرنسية تتلبنن او تتعرب ومشاهدا لشاشة اميركية بدخيل عربي عليها. انه المشهد المعاكس الذي جعل الاستثناء قاعدة والقاعدة استثناء.

ولا بدّ هنا من التوقف عند برامج الاذاعات التي باتت تروّج لغة **"عرنبيّة"** لا عربية ولا أجنبيّة، وتطل علينا بصباحات مأسوية لا فرحة مريحة. والمذيعة لم يعد المقياس لتبث عبر الأثير رصانة صوتها ورقيّ أدائها بل مدى إثارتها الجوّ الحلو والمريح في نفوس العالقين بزحمة السير، والتعليقات كلها عبر تويتر فايس بوك تقرأها كما هي باللغة الانكليزية او قل **الانترنتية**. فهل ما كان سببَ انفتاح العالم وصَهره قرية كونيّة، وسرعة تواصل وتفاهم وتلاقح بين الشرق والغرب هو نفسُه سبب تردّي أحوالنا الإعلاميّة اللغوية؟ أم أنّ اللغة تأخرت عن أداء وظيفتها فبتنا نوظفها كيفما اتفق؟

في الأساس تخضع العناصر والمكوّنات الحياتية لإرادة الإنسان وخياراته. فماذا حدث حتى فرغت العولمة فاهًا وغزت باقمارها وموجاتها فضاء الإعلام المباشر على مدى أربعٍ وعشرين ساعة لتحوّله سلعة في قبضة العولمة(سباقا وسبقا) وبين استعجال السباق والبحث عن السبق الإخباري تراجعت اللغة وحلّت في مرتبة متأخرة، فقدمنا الأخبار والحوارات والوثائقيات بمفهوم لمّاع هو الصورة والإنجاز البصريّ المعلومتيّ بدون نكهة لغة ولمسة كلمة وإبداع نحتيّ للعبارة والجملة لولا بعضُ الوقفات في بعض الشاشات في عالمنا العربيّ.

وما يجب تسجيلُه هنا أنّ التضخّم الحاصل نتيجة العولمة والمدّ الغربيّ وامتداده في أوصال حياتنا وعروبتنا ولبنانيّتنا فرض حكما حاجيات يومية خلت عنها الفاظها في اللغة العربية وثقافة تعبير لم يلق القارئ العربي والمواطن تصريفا لها لا في الصرف ولا في النحو ولا في المعاجم البِحار وهذا ما يحمّل المجمع العربي ونحاة اللغة مسؤوليات جساما، ويدفعنا لطرح السؤال عليهم لخلق فرصة للغة تنقذها من القعود بأثقالها وتطلق لها العنان من جديد في فضاءات عصرنا ولرفد الجمهور العربي بمصادر ومصطلحات تغنيه عن اعتماد كلمات معرّبة او دخيلة وتنهيه عن التذرّع بعدم وجود لفظ لها في لغتنا الأمّ بدءا من الكمبيوتر مرورا بالإنترنت وصولا إلى ليدر شيب و فيديو وول الميكانيك وسواها...

ثانيا: المحاسبة والمسؤوليّة اللغويّة في المؤسسات الإعلاميّة:

أ-في واقع المحاسبة :

إنّ واقع المحاسبة مفقود وإذا ما لطّفنا الكلام يصير شبه مفقود. فالمحاسبة تتطلّب أطرا معيّنة تقنيّا وتطبيقيا ومتابعة من اختصاصيين تآلفوا مع اللغة والأداء والإعلام الجديّ الرصين ويعتبرون أنفسهم منتمين الى هذا العالم وليس موظفين فيه. كما أنها تفترض متابعة للأخطاء بكلّ أشكالها والتواصل المباشر مع المذيعين والمقدمين والمحررين. ويبدو أن واقع المؤسسات الإعلامية اليوم تقتصر فيه المحاسبة على الشكل أي البذلة،الثوب، اللون، الضحكة، الشعر، طريقة الجلوس أمام معدّات التصوير، الحضور الى غرفة الأخبار في الموعد المدرج على الجدول الأسبوعي وحتى على المواقف السياسية التي قد تتعارض وموقف المذيع الموظف والمحرر . وهذا كلّه يأتي على حساب المحاسبة والمراجعة في شأن بث الأخبار وأدائها، وسلامة التشكيل، وحفظ كرامة الكلمات من إهانات يصيبها بها قارئوها.

بعض المحطات المرئية يعتمدُ مدققا لغويا ليس من شأنه المحاسبة بل تحضير النشرة مشكّلة للمذيعات والمذيعين المنشغلين عن اللغة وأهمّيّتها بمتابعة الحدث وربّما بمتابعة تفاصيل الإطلالة بمعاييرها الجديدة أي الابتسامة البعيدة حتى الضحك في خبر ليس عن الموت او القتل انما حتما عن الفقر او البؤس. وبعض المحطات يعتمد مدققا لغويّا واحدا فهل سيتمكن هذا المناضل من الحضور كل يوم اثنتي عشرة ساعة الى محطة تبث ما يقارب الستّ عشرة ساعة بشكل متتالٍ موجزاتٍ ونشرات؟ ومن سيشكّل الأخبار في يوم غيابه؟ ومن ينتبه الى خطأ محرّر آتٍ من جامعة خرّجته بلغة انكليزية يباري بها الانكليز لينسى لغته الامّ فيباريه الروس المتعلمون الفصحى بطلاقة وأداء صحيح او الارمن الملمّون باللغة العربيّة أحيانا أكثر من أبنائها؟ وبينهم السياسيون.

بالتالي أين هي المحاسبة أو كيف يحق للادارة أن تحاسب عندما لا توحّد مصطلحاتها بين مذيع ورفيقته في الاستوديو وليس بين مذيع فترة وآخر كي لا نقول بين نشرة وأخرى. فهل يصحّ أن يقول المذيع مثلا مجلس الشَورى ثم يطالعك المحرر بمجلس الشورى في تقريره؟ هل أتى واحد من محطة أرضيّة والآخر من ابولو مثلا؟ هل سمع المدير التقرير او هل راجع المذيع التقارير ليطلّ على الهواء مذيعا مؤدّيا لا قارئا مرددا كالببغاء مفاهيم سياسية لا حول له فيها؟ إن معضلة المحاسبة والمراجعة ممسوحة في المؤسسات الإعلامية والخطأ اليوم من دون محاسبة هو صحيح غدا بمكافأة، وتكرار الكذبة يتحول حقيقة. والكذبة تكبر بسرعة ويصدقها الإعلاميون في محطات اخرى كالعدوى المستشرية.

فمن يحاسب المحطات المسموعة حين تطل المذيعة فيها لتقول: بونسوار ، سوو، أف، وأه على الهواء ، علما أن الاعلام المسموع هو الحقل الذي فيه نبتت زهور اعلامية أينعت وعمّ شذاها لبنان والمنطقة العربية وحتى دول الاغتراب. في المسموع يُصقَل الأداء والصوت واللغة . حتى هذا الاعلام أصيب بخيبة كبيرة من أبنائه وصارت صبحيات الاذاعة نسخة عن صبحيات البيوت، والمعايير لا الصوت الاذاعي ولا الاداء المتميز ولا الثقافة واللغة بل سنوات الخبرة في مجال الثرثرة.

ب- من المحاسِب؟

على هذا الأساس، مَن المحاسب وأيّ هامش معطى له؟ المحاسب في محطات الإعلام جُلّ همّه احتساب ساعات العمل ومراجعة سيرة الإعلامي السياسية لا الثقافية لكن ما نحن أحوج إليه هو المحاسبة اللغويّة. فهل يكون أي مسؤول محاسبا لغويا؟ وهل كل مسؤول اليوم في غرفة الاخبار مع احترامنا لمن يتقنون اللغة هو مسؤول يعرف أكثر من المحرّر؟ إن صفات المحاسب هي الدقة في المتابعة وتسجيل كل خطأ يرد، ولفت انتباه المخطئ وهو إما أن يكون يعرف أو لا يكون. وصفاته هي شهادته وخبرته وعلاقته اللامنقطعة بلغة عربيّة صحيحة سليمة. وهو كذلك المتابع التقارير في غرف التسجيل والموجود في غرفة مراقبة البث الإخباريّ.

للأسف، مَن يحاسب اليوم هو اللا أحد. نعم أحدٌ لا يحاسب. وإذا كانت لازمةُ الرّقابة الذاتية عُرفت في السنوات العشر الأخيرة علنًا على المستويين السياسي والأدبيّ فإنها تنسحب على اللغة وكل أنا يحاسب أناه، والمعايير فضولُ المذيع أو المحرّر. إنه المحاسِب المحاسَب، والاقتصاص ليس رسميا هنا بقدر ما هو خاص فرديّ بين الإعلاميّ ونفسه او لما يملكه من معلومات يحاول عبرها الدفاع عن حصن أساس من حصون اللغة العربيّة التي يشهد التاريخ انها عاشت قرونا الى الامام وها نحن الورثة نردّها الى الوراء، فهل نحن الورثة الشرعيون ام اننا ورثناها بالصدفة؟

إنّ ما تقدّم يستدعي تحرّكا من المؤتَمنين على اللغة قبل أن تضيع في مهبّ عاصفة التكنولوجيا الشرسة والانتهاك الحاصل بحقها . هذه اللغة لغة المقدّسات عكس اللغات الأخرى لغات الانتهاك كما يصفها الأستاذ أنسي الحاج . والتحرّك يعني المحاسبة، والمحاسبة تعني العوة الى الهُوية والالتزام ووضع اللغة العربية في رأس الاهتمامات، نعم في رأسها ما يعني في سلّم أولويّات العمل الإعلاميّ ، وعليه نتقدّم بالاقتراحات الآتية:

إقتراحات

-تشكيل لجنة في كلّ بلد عربيّ مخوّلة رسميا الموافقة على انضمام الطلاب المتخرجين في الجامعات الى الاعلام بناء لاختبار اذاعي تلفيزيوني و مكتوب شرط ان يكونوا حاملي شهادات في الاعلام او الاداب او العلوم السياسية او الحقوق وما يعادلها ليكتبوا او يذيعوا. هذه اللجنة مهمتها تسمية الناجحين للانضمام الى اي وسيلة اعلامية محليّة أو عربيّة، ومن دون شهادتها بل إذنها لا يحق لأي مؤسسة إعلاميّة قبولهم.

-التوقف عند العلامات الجامعية للمنتسبين الجدد الى حقل الاعلام وتحديدا في اللغة العربية في التعبير والكتابة في الاداء واعتمادها جزءا من المعايير المعتمدة بجانب الحضور والشخصية والثقافة والشكل .

-اعتماد دورات تدريبية في اللغة والأداء تُعَمَّم على المؤسسات من جانب المجالس الاعلامية او الوزرات بهدف حث الاعلاميين على ممارسة اللغة، وذلك كل ستة أشهر مرة لانعاش الذاكرة اللغويّة لدى الإعلاميين جددا وقدامى.

-تعميم مجمع اللغة العربية بيانات متتالية مرتين في السنة على الأقل للموافقة على ألفاظ ومصطلحات تُستخدم أو شطب بعضها وتصحيح أخرى ، ورفد الاعلاميين بمصادر ومراجع تمكّنهم من مواكبة التطور الحاصل في المجتمعات كي لا يضطروا الى قول كلمات غريبة عن لغتهم الأمّ.

-انتداب مراقب من وارة الاعلام او الثقافة او التربية حسب البلد او من المجالس الاعلامية او النقابات لمتابعة سير الامور اللغوية التقنية من تحرير ومدققين وبث وصفات المذيعين. هذا لا يعني تحول الاعلام الى اعلام رسمي انما مثلما تتّبع الوسائل الاعلامية دفتر شروط معينا للموافقة على البث وحجز موجة او أثير ، فان الشان اللغوي العربي يجب ان يرفع مدماكا أساسا.

-تخصيص جوائز قيمة لأفضل أداء وأفضل لغة كل سنة في مجالات الإعلام.

-إجراء مباريات وبرامج ثقافية تربوية لها علاقة باللغة من كل جوانبها (أخبار، برامج، شعر، أدب، إلقاء،إملاء، لغة، أعلام لغوية)...

خاتمة:

نختم متذكّرين **محمود درويش** يكتب: "كلّ ما لا تبلغه يداك الصغيرتان ملكُ يديك الصغيرتين إذا أتقنت التدوين بلا أخطاء. من يكتب شيئا يملكه. قرّب حرفا من حرف تسمع صوت المطر. إذا لم تخطئ في كتابة كلمة **نهر** فسيجري النهر في دفترك. السماء أيضا تصبح جزءا من مقتنياتك الشخصية إذا لم تخطئ في الإملاء، فكيف يُسجَن البحر في أحرف ثلاثة وكيف تتسع الحروف لكل هذه الكلمات وكيف تتسع الكلمات لاحتضان العالم؟"

أرأيتم ؟ لغتنا بحرٌ لا ينضب فلنسارع معا كي لا نجفّ في هذا البحر، ونفقد إرثا علينا حمايته دوما، ونبكي حينها كما فعل الملك عبد الله الأندلسيّ الغرناطيّ حين خسر مملكته ، فعنّفته أمّه: **"إبك كالنساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه مثل الرّجال"**. لا نريد أن نصير يوما في موقف الملك كي لا نفقد كل ما نملك لمجرّد خسارتنا لغتنا، هويّتنا اسمَنا وأرضنا ومكانتنا. **فالمكان ان لم يكن مكانة لا يُعوّل عليه يقول الشيخ الاكبر محيِ الدين بن عربي**، والاعلام ان لم يكن اعلامَ لغتنا الامّ فأحدٌ لن يعوّل عليه ولن يصدّق جوهرَه.

وعليكم نعوّل رأفة بلغة الإعلام العربيّ. ودمتم.

بسّام برّاك